

تفسير البحر المحيط

@ 131 @ ولا أتكلمه ، بل إذا جاء الاستفهام جواباً للشرط لم يكن إلا بما يصح وقوعه بعد الفاء لا قبلها هكذا نقله الأخفش عن العرب ، ولا يجوز أيضاً من وجه آخر لأننا قد قررنا إن رأيته متعدي إلى اثنين أحدهما في هذه الآية محذوف وأنه من باب التنازع والآخر وقعت الجملة الاستفهامية موقعة فلو جعلتها جواباً للشرط لبقيت { أَرَأَيْتُمْ كُمْ } متعدية إلى واحد ، وذلك لا يجوز وأيضاً التزام العرب في الشرط الجائي بعد رأيته مضي الفعل دليل على أن جواب الشرط محذوف ، لأنه لا يحذف جواب الشرط إلا عند مضي فعله قال تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ كُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ } { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ } { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُمْ بَيِّنَاتٍ } { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ } { أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ } { أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ } إلى غير ذلك من الآيات ، وقال الشاعر :

أرأيت إن جاءت به أملودا .

وأيضاً فمجيء الجمل الاستفهامية مصدرية بهمزة الاستفهام دليل على أنها ليست جواب الشرط ، إذ لا يصح وقوعها جواباً للشرط .

وقال الزمخشري : (فإن قلت) : إن علق الشرطية يعني بقوله : { غَيْرُ اللَّهِ } فما تصنع بقوله : { فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ } مع قوله : { أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ } وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين . (قلت) : قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله : إن شاء إيداناً بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه ؛ انتهى . وهذا مبني على أنه يجوز أن يتعلق الشرط بقوله { غَيْرُ اللَّهِ } وقد استدلل للفاعل أن ذلك لا يجوز وتلخص في جواب الشرط أقوال : . . أحدها : أنه مذكور وهو { أَرَأَيْتُمْ كُمْ } المتقدم والآخر أنه مذكور وهو { غَيْرُ اللَّهِ تَدْعُونَ } . .

والثالث : أنه محذوف تقديره من تدعون . .

والرابع : أنه محذوف تقديره دعوتهم □ ، هذا ما وجدنا منقولاً والذي نذهب إليه غير هذه الأقوال وهو أن يكون محذوفاً لدلالة { أَرَأَيْتُمْ كُمْ } عليه وتقديره { إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ } فأخبروني عنه أتدعون غير □ لكشفه ، كما تقول : أخبرني عن زيد إن جاءك ما تصنع به ؟ التقدير إن جاءك فأخبرني فحذف الجواب لدلالة أخبرني عليه ، ونظير ذلك

أنت ظالم إن فعلت التقدير فأنت ظالم فحذف فأنت ظالم وهو جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه ، وهذا التقدير الذي قدرناه هو الذي تقتضيه قواعد العربية و { غَيْرُ اللَّهِ } عنى به الأصنام التي كانوا يعبدونها ، وتقديم المفعول هنا بعد الهمزة يدل على الإنكار عليهم دعاء الأصنام إذ لا ينكر الدعاء إنما ينكر أن الأصنام تدعى كما تقول : أريداً تضرب لا تنكر الضرب ولكن تنكر أن يكون محله زيدا . قال الزمخشري : بكتهم بقوله : { أَغْيَرُ اللَّهِ تَدْعُونَ } بمعنى أتهمكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضرر أم تدعون ؟ انتهى . وقدره بمعنى أتهمكم لأن عنده تقديم المفعول مؤذن بالتخصيص والحصص ، وقد تكلمنا فيما سبق في ذلك وأنه لا يدل على الحصر والتخصيص ، وهذه الآية عند علماء البيان من باب استدراج المخاطب وهو أن يلين الخطاب ويمزجه بنوع من التلطف والتعطف حتى يوقع المخاطب في أمر يعترف به فتقوم الحجة عليه ، وإني تعالى خاطب هؤلاء الكفار بلين من القول وذكر لهم أمراً لا ينازعون فيه وهو أنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا إني لا غيره وجواب { إِنْ كُنْتُمْ مَادِقِينَ } محذوف تقديره إني كنتم صادقين في دعواكم إني غير إني فهل تدعونه لكشف ما يحل بكم من العذاب ؟ . . { بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ }